إعلان النكير

على جماعة التفجير والتكفير

رسالةٌ مختصرةٌ تُبيِّنُ حقيقةَ الخوارجِ قديمًا وحديثًا، وتكشفُ ضلالَ جماعاتِ التفجيرِ والتكفيرِ، وتُحذِّرُ من فكرِهِمُ المنحرفِ وشُبُهاتِهِمُ الزائفةِ، وتدعو شبابَ الأمةِ إلى لزومِ منهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ القائمِ على العلمِ والعدلِ والرحمةِ.

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن مرزاع الوريمي الحوباني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

إِعْلَانُ النَّكِيرِ

عَلَى جَمَاعَةِ التَّفْجِيرِ وَالتَّكْفِيرِ

الشريف للطباعة

مراجعة تنسيق صف إخراج

+966554298657 - +967779555171

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - **٢٠٢٥**م.

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم . ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com

إِعْلَانُ النَّكِيرِ

عَلَى جَمَاعَةِ التَّفْجِيرِ وَالتَّكْفِيرِ

رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ تُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الخَوَارِجِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَتَكْشِفُ ضَلَالَ جَمَاعَاتِ التَّفْجِيرِ وَالتَّكْفِيرِ، وَتُحَذِّرُ مِنْ فِكْرِهِمُ المُنْحَرِفِ مع بيان بعض شبهاتهم وَتَدْعُو شَبَابَ الأُمَّةِ إِلَى لُزُومِ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ القَائِمِ عَلَى العِلْمِ وَالعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ.

تأليف

أَبِي المُنْذِرِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الجَلِيلِ الحُوبَانِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أتم علينا النعمة، وأكمل الدين، وجعل في كل زمان منار هدى يبدد ظلمة الضالين، ويذود عن حياض الشريعة صفوة الصادقين، نحمده حمدًا يليق بجلاله، ونشكره على جزيل إحسانه، ونستعينه في رد الفتن، وكشف المحن، ونستغفره من كل زلل وخطل، ونسأله الثبات على الحق إلى يوم نلقاه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد إمام الهدى، وكاشف الدجى، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فإنّ من أعظم الفتن التي عصفت بالأمة، وهدّدت أمنها ووحدتها، فتنةُ الخوارج الذين خرجوا عن جماعة المسلمين، واستباحوا دماء الموحدين، ورفعوا شعار «لا حكم إلا لله»، وهم أبعد الناس عن حكم الله، قومٌ جهلوا مقاصد الشريعة، ففهموا النصوص على غير وجهها، وحمّلوها ما لا تحتمل، فصاروا فتنةً في الأرض وبلاءً على العباد.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فها هي أذناب الخوارج قد ظهرت في هذا العصر بأسماء جديدة وشعارات خادعة، فمرة يسمّون أنفسهم القاعدة، وأخرى أنصار

الشريعة، وثالثة مؤخرا ما يسمى بالدولة الإسلامية داعش[1]، وكلها مسمياتٌ لا تُغيّر الحقيقة: فكرٌ واحد، ومنهجٌ منحرف، وعداءٌ صريح لأهل الإسلام.

لقد لبّسوا على الناس باسم الجهاد، واتخذوا الدين سُلّمًا لأهوائهم، فزلّت الأقدام، وسُفكت الدماء، وضُربت الأمة في قلبها، وتشوّه وجه الإسلام في العالم أجمع.

ولقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم ووصفهم بأنهم «كِلَابُ النَّارِ» رواه الترمذي، برقم: (٣٠٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٣٤٧)، وأخبر أنهم «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ» رواه البخاري، برقم: (٣٣٤٤)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤) فكيف يرضى مؤمن أن يكون مع هؤلاء، وقد تبرّأ منهم النبي الأمين؟!

إنّ هذه الرسالة التي بين يديك بيانٌ وتحذيرٌ من فكر التفجير والتكفير، أردتُ بها كشفَ زيف هؤلاء، وبيانَ خطرهم على الدين والدنيا، وإيضاحَ سبيل النجاة باتباع منهج أهل السنّة والجماعة القائم على العلم والعدل والرحمة.

وهي دعوةٌ إلى شباب الأمة خاصّة أن لا يُغترّوا بالشعارات، ولا يندفعوا خلف العواطف، فدين الله لا يقوم بالدماء، بل بالعلم والاتباع، ولا يُنصر

---

(١) وهذه ظهرت في تلك الأثناء بعد هذه الحادثة التي كانت سبب كتابتي لهذه الرسالة

بالظلم، بل بالحق والعدل.

وإنّ هذه الرسالة الموسومة بـ(**إعلان النكير على جماعة التفجير والتكفير**) جاءت صيحة في وجه الباطل، وصرخةَ نذيرٍ في زمنٍ اختلطت فيه المفاهيم، وتبدّلت فيه الموازين، أردتُ بها أن أُعلن النكير وأرفع الستار عن زيف تلك الجماعات التي اتخذت التفجير طريقًا، والتكفير شعارًا، فخالفوا نهجَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المختار، وطريقة السلف الأبرار وساروا على خُطى الخوارج الأشرار.

فهذا إعلان إنكار على من بدّلوا معالم الدين، فجمعوا بين جهلٍ بالدليل، وجرأةٍ على الدم الحرام، فأفسدوا في الأرض زاعمين الإصلاح، وما علموا أن الدين لا يقوم بالدماء، ولا يُنصر بالعنف، وإنما يُبنى بالعلم والعدل والرحمة.

فهي رسالةٌ مختصرة فيها بيان وتحذير، تكشف خطرَ هذا الفكر على الدين والدنيا، وبيّنتُ فيها سبيلَ النجاة باتباع منهج أهل السنة والجماعة، القائم على العلم الراسخ، والعدل الشامل، والرحمة الواسعة، وهي دعوةٌ إلى شباب الأمة أن لا يُغترّوا بالشعارات البراقة، ولا يُستدرجوا وراء العواطف الهوجاء، فدين الله لا يُرفع إلا بالحق، ولا يُنصر إلا بالعدل.

المناسبة لكتابة هذه الرسالة:

وكان من أعظم ما حفّزني على هذا النداء وقوع جريمة شنيعة في بعض

محافظات اليمن[1]، حيث تداوَت الأنباء أن عصابات تنظيم القاعدة تقطعوا لحافلة نقل تحمل مجموعة من جنود الدولة، وكانوا بلباس مدنية، فأنزلوهم واحدا واحد، ثمّ ذبحوهم بكل وحشية أمام الناس، وكان أولئك الجنود يصرخون، ويبكون كما ظهر ذلك في مقاطع مصورة متداولة، وأيضا بشاهدة أهالي تلك المنطقة، وهذا غايةَ الضلال والإجرام والقسوة.

وما زاد حزني أن بعض أهلَ تلك البلاد شهدوا بأنّ الضحايا ليسوا روافض كما ادعت جماعة التنظيم، فدلّت شهادات الناس في تلك البلاد على أن القتلى كانوا من المواطنين المسلمين لا من الرافضة كما زعم الإرهابيون، وظلّت الصورةُ صادمةً في القلب: كيف يُقدّمُ جاهلٌ دمَ مسلمٍ قربانًا لوجهٍ زائفٍ باسم الدين؟!

ومن هذا الألم ولدت هذه الرسالة؛ كتوعية للشبابَ، وبيان بخطرِ هذا الفكرِ الضالِّ الذي يلبسُ ثيابَ الدين، ويعملُ في واقعِه للخراب والقتل، فكان الواجبُ أن يُقال الحقُّ ويُصرخ النكير، حمايةً للدينِ والناسِ معًا.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للعباد، هاديًا لمن ضلّ، وحجةً لي لا عليّ، وأن يحفظ بلاد المسلمين من شرّ الخوارج وسائر أهل

---

(١) تحديدا في بلاد حضرموت -شبام- في تاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ميلادي، وهي لا تزال مُذاعة متناقلة عبر وسائل الإعلام بعنوان: تنظيم القاعدة يعدم بطريقة وحشية ١٤ جنديا.

الفتن، إنه سميع قريب مجيب.

وكتبه على عجالة: أبو المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع الوريفي الحوباني

بلاد اليمن-محافظة تعز-الحوبان-مسجد النور في قرية الممضوض.

في تاريخ ٢/ شوال/ ١٤٣٥ من هجرة النبوية.

الباب الأول: حقيقة الخوارج:

تعريف الخوارج لغةً واصطلاحًا

تعريف الخوارج لغةً:

الخوارج جمع خارجي، وأصل الكلمة من الخروج، وهو في اللغة مفارقة الشيء ومجاوزته، يقال: خرج من الشيء إذا فارقه وابتعد عنه، ومنه قيل: خرج القوم عن الطاعة إذا تركوها ونبذوا أمر جماعتهم، فالخوارج في أصل اللغة هم الذين يفارقون الجماعة، وينفصلون عن الطاعة التي أمر الله بها ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تعريف الخوارج اصطلاحًا:

الخوارج في الاصطلاح هم فئة من الناس خرجوا على أئمة المسلمين وجماعتهم بتأويل فاسد، وكفّروا بالذنوب والمعاصي، ورأوا أن مرتكب الكبيرة كافر مخلّد في النار، فاستحلّوا دماء المسلمين وأموالهم، وزعموا أن الحكم لا يكون إلا لمن وافقهم في رأيهم وفهمهم، جمعوا بين جهلٍ بالعلم وغلوّ في الدين، فكانوا نواة كل فكر منحرف يرفع شعار الإصلاح والدين، وهو في حقيقته هدمٌ للدين، وتفريقٌ لجماعة المسلمين.

قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ لجعفر بن برقان: الحروري الأزرقي: هو الذي إذا خالفت آية سمَّاك كافرًا، واستحل دمك. [فتح الباري لابن رجب (٦/ ١٨٧)].

وقال المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المحدثون قد يطلقون الخوارج على مطلق الخارجين على السلطان، وإن كانوا بريئين عن سائر أقوال الخوارج الشاذة.

وقد يغفل بعض الأئمة عن هذا، فيقول في أحد هؤلاء: إنّه من الحرورية؛ يَبْنِيه على ما فهمه من قول غيره: من الخوارج. [آثار الشيخ المعلمي (٢٤/ ٢٣٥)].

حقيقتهم: هم الذين يغلون في التكفير، فيكفّرون بالكبيرة، ويستحلون دماء المسلمين، ويخرجون على الأئمة بزعم إنكار المنكر، فجمعوا بين الجهل والجرأة وسوء الفهم للنصوص، وأصل مذهبهم قائم على **الاعتراض على الحكم الشرعي بالعقل والهوى**، وردّ النصوص إذا خالفت تصوّرهم القاصر، فيقيسون بغير علمٍ ويجهلون مقاصد الشريعة.

الباب الثاني: نشأة الخوارج، وأهم مراحل ظهورهم

الخوارج لم ينشؤوا فجأة، بل تدرّج فكرهم من بذرَةِ اعتراضٍ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم الصحابة إلى حركةٍ مسلّحةٍ تستحلّ الدماء، وكان أصل نشأتهم سوء الفهم للنصوص الشرعية، والغلوّ في الدين، والجرأة على تكفير المسلمين بزعم نصرة الحق.

أولًا: البذرة الأولى في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كانت أول نواة لفكر الخوارج في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين اعترض رجل يقال له **ذو الخويصرة التميمي** على قسمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للغنائم، فقال بجرأة وسوء أدب: يَا رَسُولَ الله، اعْدِلْ، فأنكر عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد الإنكار، وقال: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟**» ثم أخبر أن من ضِئضئ هذا الرجل يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. الحديث رواه البخاري، برقم: (٣٦١٠)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكانت تلك الحادثة هي **البذرة الأولى** التي نمت منها فكرة الخروج والتكفير، إذ اجتمعت فيها سمات الخوارج: الغلظة، وسوء الظن، والطعن في العدول، وادّعاء احتكار الحق.

ثانيًا: ملامح النشأة في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وفي عهد أمير المؤمنين **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدأت تلك البذور تنبت في واقع الأمة، إذ تحركت فئة من ذوي الأهواء(١) تأولوا النصوص بغير علم، وحرّكهم الحسد والجهل، فطعنوا في الخليفة الراشد، واتهموه بالجور في الحكم، وزعمهم أنه كان **يقرّب أقاربه من بني أمية**، ويولّيهم الولايات، وأنه **أعطى بعضهم من مال الفيء**، فطعنوا في عدله واتهموه بالمحاباة، وهي شبهة قديمة أصلها **الجهل والسياسة لا الدين**..، فالذين خرجوا عليه لم يكن دافعهم دينًا ولا إنكار منكرٍ شرعيٍّ بعلم، بل كان **الهوى والحسد والدعاية الكاذبة**.

ثم ما لبثت تلك الأصوات أن تألّبت حتى انتهى الأمر باغتياله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)

---

(١) لم يكن في تلك الفئة أحدٌ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما كانوا من سفهاء الأتباع، ومن غرّهم أهل الأهواء من أطراف الأمصار، كأهل الكوفة والبصرة ومصر، وقد تبرأ الصحابة جميعًا من فعلهم، وأنكروا خروجهم، فالصحابة كانوا أبعد الناس عن تأليبٍ أو فتنة، وإنما نسب إليهم ذلك بعضُ أهل الأهواء بعدُ ظلمًا وزورًا.

(٢) وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وقوعه، فكان ذلك من دلائل نبوّته وتمام صدقه، ومن أعظم البشارات لعثمان في ثباته على الحقّ حتى قُتل مظلومًا صابرًا، ففي الصحيح عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل حائطًا،

مظلومًا، فكانت **حادثة القتل تلك أول خروجٍ فعلي على الإمام الشرعي**، ومقدمة لما تلاها من فتن عظيمة مزّقت الأمة وأراقت دماء الصحابة والتابعين.

ثالثًا: ظهور الخوارج كفرقة في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وفي خلافة أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهرت فرقة الخوارج بكيانها الواضح بعد **حادثة التحكيم**(١) بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إذ أنكرت

=

وأمره أن يفتح الباب لثلاثة من أصحابه يُبشَّرون بالجنة، فجاء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**» رواه البخاري، برقم: (٣٦٧٤)، ومسلم، برقم: (٢٤٠٣)، فكانت تلك البلوى هي الفتنة العظيمة التي قُتل فيها صابرًا محتسبًا، وروى الإمام أحمد، برقم: (٤٤٢) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن عثمان قال حين حُوصِر: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَفْطِرْ عِنْدَنَا، فَأَصْبَحَ صَائِمًا وَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٧٠٨٥)، ففاز ببشارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدق رؤياه، وجُعل موته مِفتاحًا لفتنٍ عظيمة في الأمة.

(١) التحكيم هو ما جرى بعد وقعة صفين سنة ٣٧هـ، حين اتفق عليٌّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على أن يُرسل كلٌّ منهما حكمًا ليفصلا في أمر القتال، فكان أبو موسى الأشعري عن علي، وعمرو بن العاص عن معاوية، وقد قبل به الفريقان حقنًا للدماء، فأنكرت طائفة من جيش علي ذلك، فكانت بذرة الخوارج.

طائفة من جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التحكيم، ورفعوا شعارهم المشهور: «**لا حكم إلا لله**»، ففارقوا الجماعة، وتسمّوا بالحرورية نسبة إلى حروراء[١] حيث اجتمعوا.

وكان شعارهم في ظاهره حقًا، ولكنهم أرادوا به باطلًا، فحكموا بالكفر على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه، ثم قاتلوه فقاتلهم بجيش المسلمين في النهروان[٢]، فقتل أكثرهم، وتفرقت بقيتهم في الأمصار يبثون فكرهم بين الناس.

رابعًا: استمرار فكرهم في العصور اللاحقة:

تتابعت بعد ذلك **الفرق الخارجة** بأسماء متعددة، كالحرورية، والأزارقة، والنجدات، والصفرية[٣] وغيرهم، وكلهم يشتركون في الأصول الكبرى: تكفير

---

(١) بلدة حروراء تقع قرب الكوفة في العراق، وكانت هي الموضع الذي اجتمع فيه بعض الخوارج أول الأمر، فسموا الحرورية نسبة إليها.

(٢) النهروان: موضعٌ قريب من بغداد على طريق واسط، وقعت فيه هذه المعركة المشهورة بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والخوارج سنة ٣٨هـ.

(٣) **الحرورية**: أوائل الخوارج، نسبوا إلى حروراء قرب الكوفة.

الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، أشدّ الخوارج غلوًّا وتكفيرًا.

النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي، خفّ غلوّهم عن الأزارقة.

الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر، مذهبهم قريب من الإباضية في بعض المسائل.

العصاة، من مرتكبي الكبائر واستحلال الدماء، والخروج على الأئمة، ومع مرور القرون خبت نارهم حينًا ثم عادت تتقد حين يغيب العلم ويضعف الوعي.

خامسًا: امتداد فكرهم في العصور المتأخرة:

وفي العصر الحديث عاد فكر الخوارج بثوبٍ جديد وأسماءٍ براقة؛ فظهرت جماعات ترفع شعار الجهاد لتخفي تحته فكر التكفير والتفجير، وتستحل دماء المسلمين، وتكفّر الحكومات والمجتمعات المسلمة، وتغرّ الشباب بشعارات الحماسة والدين، وهي وإن بدت مختلفة في الوسائل والتنظيمات، إلا أن جوهرها هو **جوهر الخوارج الأولين**: الغلوّ في الدين، وسوء الفهم للنصوص، والتجرؤ على الدماء والأعراض، والطعن في العلماء والأئمة.

الباب الثالث: صفات الخوارج وعلاماتهم في النصوص النبوية

لما كانت فرقة الخوارج أولَ فرقةٍ انشقت عن جماعة المسلمين، وأشدَّها خطرًا على الدين والأمة، عنيَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان صفاتهم وعلاماتهم بيانًا شافيًا، حتى لا يلتبس أمرهم على الناس في كل زمان ومكان، فذكرهم بأوصافٍ دقيقةٍ تجمع بين الظاهر والباطن، حتى صارت تلك الأحاديث أصلًا في معرفة منهجهم والتحذير من فكرهم.

وكان من تمام النصح للأمة أن تُعرض صفاتهم كما وردت في نصوص الوحيين، ليُعرف المقياس الشرعي في التمييز بين أهل السنة وأهل الغلوّ، ويُحذر الناس من الانخداع بزخرف أقوالهم وبريق دعواهم فإليك أبرز صفاتهم.

أولًا: الغلوّ في الدين والتشدد في العبادة:

إن من أعظم أسباب انحراف الجماعات التكفيرية ونشوء الفكر المتطرّف، ما وقع فيه أصحابه من الغلو في الدين والتشدّد في العبادة، فزلّت أقدامهم حين تجاوزوا حدود الاعتدال التي رسمها الشرع.

فالغلوّ آفة قديمةٌ متجدّدة، ما ظهرت في أمةٍ إلا فرّقت صفّها وأضعفت شوكتها، فالغالي في العبادة يظن أنه أحسن من غيره وأقرب إلى الله، فإذا به يحتقر الناس ويستحلّ مخالفيه.

ومن هنا تسرّبت بذورُ التكفير، إذ ظنّوا أن من خالفهم في فهمهم ناقصُ

الدين، فحكموا عليه بالكفر والردّة فمما يبين هذا المعنى ما يلي:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، «وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»، فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهَّ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهَّ، قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا، حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا، وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهَّ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ وَسَلُّوا السُّيُوفَ وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا، قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهَّ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ. أخرجه مسلم، برقم: (١٠٦٦).

وهذا الحديث أصلٌ في بيان أن الخوارج يغلون في العبادة، فيكثرون من الصلاة وقراءة القرآن والصيام، لكن عبادتهم خالية من الفقه، لا تنفذ إلى قلوبهم، ولا تُثمر خشية ولا بصيرة، فكانت وبالًا عليهم بدل أن تكون هداية.

يُعدّ هذا الحديث من أعظم النصوص النبوية التي كشفت حقيقة الخوارج ووصفتهم بدقةٍ بالغة، حتى كأنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إليهم رأي العين.

فقد اجتمع فيه بيان صفاتهم العقدية والعبادية والسلوكية، ووصف حالهم في القراءة والعبادة، وتحذير الأمة من غلوّهم وفساد فهمهم للقرآن.

وقد رواه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه، وشهد صدقه عيانًا يوم **النهروان** حين قاتل الخوارج، فرآهم كما وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكبر وقال: «صدق الله وبلغ رسوله».

وهذا يدل على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك الأمة هملاً أمام خطرهم، بل حدّد لهم العلامات التي يُعرف بها كل من يسلك طريقهم إلى يوم القيامة.

وفي هذا الحديث الشريف تمييزٌ واضح بين **العبادة الظاهرة** التي تخلو من الفقه والإيمان، وبين **العبادة الراسخة** التي تقوم على العلم والاتباع، إذ وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأنهم يحسبون أنه لهم وهو عليهم، فدلّ ذلك على أن ظاهرهم يُعجب الناظر، وباطنهم خراب من العلم

والتقوى.

كما تضمّن الحديث بيانَ **حكم قتالهم** حين يخرجون على جماعة المسلمين ويستحلون الدماء، وأن قتالهم من أعظم القربات، لأنهم يفسدون في الأرض باسم الدين.

ولعظمة هذا الحديث وكثرة ما اجتمع فيه من صفات الخوارج، صار **أمَّ الأحاديث في هذا الباب**، إذ اجتمع فيه الوصف، والحكم، والعلامة، والتطبيق العملي الذي تحقق في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصار دليلاً دائمًا يُحتكم إليه في كل زمان لمعرفة الخوارج وحقيقتهم.

التحذير من الغلو في الدين:

إن من أعظم أسباب الانحراف عن سواء السبيل، الغلوّ في الدين والتشدّد في العبادة، وهو داءٌ قديم حذّر منه الشرع أشدّ التحذير، لأنه يُفضي إلى الغلوّ في التكفير وسفك الدماء بغير حق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

فإذا كان الغلوّ منهيًا عنه في حقّ أهل الكتاب، فكيف بمن ينتسب إلى الإسلام ويدّعي نصرة الدين وهو غالٍ متجاوز للحدّ؟!

وقال سبحانه في وصف الأمة الوسط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: عدلًا خيارًا لا إفراطَ فيهم ولا تفريط، فالوسطية سِمةُ أهل السنّة،

والغلوّ سِمةُ أهل الأهواء.

وجاءت السنّة تُبيّن خطر التشدد في العبادة، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» أخرجه ابن ماجه، برقم: (٣٠٢٩) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. رواه مسلم، برقم: (٢٦٧٠) أي: المتعمّقون المتشدّدون في القول والعمل.

ومن صور الغلوّ التي وقع فيها أهل الأهواء ما وقع في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال بعض الصحابة: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فأنكر عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» رواه البخاري، برقم: (٥٠٦٣)، ومسلم، برقم: (١٤٠١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهؤلاء ظنّوا أن الزيادة في العبادة تقرّبهم إلى الله، فبيّن لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخير كلّ الخير في الاتباع، ومن هذا الباب خرجت فرقة الخوارج الذين غلوا في العبادة حتى وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

فالغلوّ إذاً أصلُ البلاء ومِفتاحُ الشرور، ومنه نشأت فِرق التكفير والتفجير التي أضاعت الدين باسم الدين، والواجب على المسلم أن يلزمَ طريق الوسط الذي كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه؛ لا يغلو غلوَّ الخوارج، ولا يُفرّط تفريطَ المرجئة، بل يعبد الله على علمٍ واعتدال.

ثانيًا: الجهل في الدين مع الجرأة على التكفير:

من أخطر أبواب الانحراف وأوسعها مدخلًا إلى الفتن والدماء: الجهلُ بالدين مع الجرأة على التكفير بغير علم، فكم من جاهلٍ تصدّر وتكلّم باسم الشرع، فزلّت قدمه وزلّت معه أقدام، يجهل أصول الإيمان والكفر، وحدود الولاء والبراء، ومعنى لا إله إلا الله، ثم يوزّع أحكام التكفير جزافًا على المسلمين، متذرّعًا بآياتٍ أو أحاديث لم يفهم معناها على وجهها الصحيح ومن أبين النماذج على ذلك ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ، إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» أخرجه البخاري، برقم: (٣٦١٠)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤).

في هذا الحديث بيان واضح أن أصل الخوارج بدأ من هذا الرجل، إذ جمع

الجهل وسوء الأدب والجرأة على الحكم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أول من طعن في العدل باسم الدين، فكانت بذرته فكرًا متوارثًا لكل من يزعم الإصلاح وهو كاذب في دعواه.

وهذا الحديث أصلٌ في بيان **منشأ فكر الخوارج**، وفيه أوضح شاهدٍ على أن **أول بذرة الغلو والتكفير كانت في حياة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين اعترض ذو الخويصرة التميمي على عدل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجمع في موقفه هذا بين **الجهل والجرأة**، وبين **سوء الأدب مع النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وادعاء الفهم في الدين.

ومن تأمل قوله: **يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ**، علم أنه لم يطعن في مسألةٍ دنيويةٍ، بل طعن في عدل النبوّة، وهو كفرٌ، فهذا كان أول مظهرٍ لروح الخوارج التي تنكر على العلماء والأئمة باسم الغيرة على الحق.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ...**» بيانٌ أن هؤلاء القوم يغلون في العبادة حتى يُعجب الناس ظاهرهم، لكن عبادتهم خالية من الفقه، فهي حركات بلا فهمٍ، وتلاوة بلا تدبّر، وصيام بلا أثرٍ في القلب، وقد قال: «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**» أي: لا يتعدّى قراءتهم إلى قلوبهم، لأنهم لم يتلقّوه بعلمٍ عن أهله، فصار حجةً عليهم لا لهم.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»

تشبيهٌ بليغ في بعدهم عن الصواب.(١)

وهذا الحديث يُبيّن بوضوح أن الخوارج لم ينشؤوا من ضعف العبادة، بل من **فساد الفهم وضعف العلم**، وأن أعظم ما يقي الإنسان من الغلوّ هو العلم الراسخ المقرون بالأدب والتواضع، ولهذا قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجهـــــل داء قاتـــــل ودواؤه أمـــران في التركيـــب متفقـــان

نـــص مـــن القـــرآن أو مـــن ســـنة وطبيـــب ذلـــك العـــالم الربّـــاني

فالجهل إذا اقترن بالغرور والجرأة صار فتنةً تُهلك صاحبها ومن تبعه.

فكل من جمع الجهل بالتأويل مع الجرأة على التكفير والطعن في أهل العلم،

---

(١) وقد اختلف العلماء في حكمهم بناءً على ظاهر هذا الحديث وغيره، فذهب طائفة إلى تكفيرهم لظاهر قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ»، قال بذلك إسحاق بن راهويه وابن حزم، ونقله النووي عن بعض السلف، محتجين بأن المروق لا يكون إلا بالخروج من الإسلام «كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» لا يعلق به شيء.

وذهب جمهور العلماء، ومنهم الإمام أحمد والبخاري والخطابي وابن تيمية والنووي إلى أنهم فسّاق مبتدعة لا يُكفَّرون بأعيانهم، لأنهم لم ينكروا أصول الدين، وإنما تأولوا بجهل وغلوّ، فخرجوا من الطاعة لا من الملة، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ» رواه البخاري، برقم: (٣٣٤٤)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤)، فدلّ على بقائهم في دائرة الإسلام مع ضلالهم العظيم.

فهو على أثر ذي الخويصرة وإن تغيّر اسمه وزمانه، لأن السنة لا تتبدّل، والحق لا يخفى على من طلبه بعلمٍ وعدل.

ولقد حذّر الله تعالى من القول عليه بغير علم فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال جلّ شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، فجعل القول على الله بغير علم في آخر مراتب المحرّمات، لما فيه من فسادٍ عظيمٍ على الدين والدنيا.

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» رواه البخاري، برقم: (٦١٠٤)، ومسلم، برقم: (٦٠) واللفظ له.

فانظر كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكلمة الواحدة في التكفير بابًا إلى الهلاك إن لم يكن صاحبها محقًا فيها.

ومن أعظم ما ابتُليت به الأمة في زماننا هم الخوارج تصدّروا وهم جهال لم يتأصلوا في العلم، ولم يعرفوا مقاصد الشريعة، فحملوا سلاح التكفير في وجه الأمة، فصاروا يرمون العلماء والدعاة والولاة والرعايا بالردة والكفر، حتى سفكوا الدماء، وأهلكوا الحرث والنسل، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]

ولهذا كان السلف كابن سيرين وغيره: يقولون: إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم.

فالعلم حصنٌ من الفتن، والجهلُ وقودُها، وما أُريق دمٌ في الأمة إلا على جهلٍ أو هوى.

فالواجب على المسلم أن يتعلّم دينه من العلماء الربانيين، وأن يحذر من الجرأة على التكفير، فإنها كلمةٌ تزلزل الإيمان وتفتح أبواب الفتنة والدماء، ولا يتكلم فيها إلا من رسخ علمُه، وعرف مقاصدَ الشريعة وضوابطَ التكفير التي قررها أهل السنّة والجماعة.

ثالثًا: الطعن في ولاة الأمور والخروج عليهم:

من أبرز صفات الخوارج في كل زمان **الطعن في ولاة أمور المسلمين والخروج عليهم** بحجة الظلم أو التقصير أو عدم الحكم بما أنزل الله، وهذه الصفة أصل فسادهم، إذ بها تفرقت جماعتهم عن جماعة المسلمين، واستحلوا الدماء، ورفعوا السيف على الأمة، فكانوا فتنةً متكرّرة كلما ضعف العلم وقلّ الصبر.

وقد جاءت النصوص النبوية الكثيرة في التحذير من هذا المسلك المنحرف، والدعوة إلى الصبر على جور الأئمة ما داموا يقيمون الصلاة ويُظهرون الإسلام، وبيان أن الخروج لا يزيد الأمة إلا شرًّا وفتنة، وإليك بعضا من ذلك:

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ» أخرجه البخاري، برقم: (٣٦٠٣)، ومسلم، برقم: (١٨٤٣).

في هذا الحديث أمرٌ نبويٌّ صريحٌ بالصبر على ما قد يقع من الأثرة -أي: الاستئثار في المال أو الحكم-، وعدم جواز الخروج على الحاكم لأجل مظلمةٍ دنيوية، فالمسلم مأمور بأداء ما عليه من الطاعة في المعروف، ثم سؤال الله حقّه بالصبر والدعاء، لا بالسيف والسخط، لأن الخروج يفسد أكثر مما يصلح.

وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» أخرجه مسلم، برقم: (١٨٥٥).

الحديث واضح في منع منازعة الأئمة، وأن الكراهة القلبية لأعمالهم لا تُسوّغ الخروج، بل الواجب الصبر والنصح بالحكمة، وقد قيد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بقوله: «مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ» أي: ما داموا على الإسلام، فدلّ على أن الخروج لا يجوز إلا إن وقع منهم كفرٌ بواح لا شبهة فيه، كما في الحديث الآتي.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» أخرجه البخاري، برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم، برقم: (١٧٠٩).

هذا الحديث أصل في باب السمع والطاعة، وهو أصرح ما ورد في النهي عن منازعة ولاة الأمر، إلا إذا ظهر كفرٌ بواح -أي: صريحٌ ظاهر لا يحتمل التأويل- ومع ذلك لا يكون الخروج إلا بقدرةٍ وأمانٍ من الفتنة، لا كما تفعل الخوارج الذين يكفّرون بالظنون ويخرجون بالسيوف بلا علم ولا إذن من أهل الحل والعقد.

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» أخرجه مسلم، برقم: (١٨٤٧).

هذا من أوضح ما يكون في بيان تحريم الخروج، ولو بلغ ظلم الإمام الغاية، ما دام مسلمًا، لأن في الخروج مفسدةً أعظم من ظلمه، إذ يؤدي إلى فوضى الدماء وخراب الديار، فالصبر في تلك الحال عبادةٌ وقربة.

الخلاصة: دلّت هذه الأحاديث وغيرها كثير على أن **الطعن في ولاة الأمور**

والخروج عليهم من صفات الخوارج، وأن السمع والطاعة لهم بالمعروف أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة، فمن جعل من زلّة الحاكم أو ظلمه سببًا لتكفيره واستباحة دمه، فهو من الخوارج في أصلهم ومنهجهم وإن لم يسمِّ نفسه باسمهم.

فطريقهم طريق الفتنة، ومذهبهم باب الشر الذي لا يُفتح إلا ويُغلق بالأشلاء والدماء.

رابعًا: الحماسة الخادعة ورفع الشعارات البراقة:

من صفات الخوارج في كل زمان أنهم **يُظهرون الغيرة على الدين**، ويدّعون الإصلاح، ويرفعون شعاراتٍ براقة تُغري العوام، وتستميل القلوب الحيّة، كقولهم: لا حكم إلا لله، وشعار تطبيق الشريعة، ونحوها من العبارات التي ظاهرها حقٌّ وباطنها باطل، وقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الحماسة المزيّفة، لأنها لا تقوم على علمٍ ولا على فقهٍ ولا على بصيرة، بل على جهلٍ وغلوٍّ يفسد أكثر مما يُصلح فإليك بيان ذلك:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»** رواه أبو داود، برقم: (٤٧٦٥) وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

في هذا الحديث وصفٌ دقيق لحال الخوارج، فهم يُحسنون القول ويتزيّنون

بظاهر الدين، لكن أعمالهم خالية من روح الإخلاص والسنة، لأنهم يعتمدون على **الحماسة المجردة عن العلم**.

وقد جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصافهم في عبارتين بليغتين: «**يُحْسِنُونَ الْقِيلَ**» أي: يرفعون الشعارات الجميلة، و«**وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ**» أي: يفسدون في الواقع، فظاهرهم الدين وباطنهم الفتنة والدماء.

وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ. أخرجه مسلم، برقم: (١٠٦٦).

هذا الأثر العظيم من فقه عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ بيّن أن الخوارج استخدموا شعارًا صحيحًا في ذاته؛ لأن الحكم لله حقٌّ لا ريب فيه، ولكن أرادوا به معنى باطلًا، وهو الطعن في إمامهم والخروج على جماعة المسلمين، وهذه سمة الخوارج إلى يومنا هذا: **يستعملون النصوص في غير موضعها**، ويدّعون الغيرة على الدين ليهدموا الدين نفسه.

الخلاصة: إن الخوارج قومٌ صدق فيهم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ**»، فهم يلبسون الحق بالباطل، ويخدعون الناس بدعوى الإصلاح، ويستغلّون حماسة الشباب وصفاء نياتهم ليقودوهم إلى الفوضى وسفك الدماء، فكل دعوةٍ تُثير الفتنة بين المسلمين باسم الدين، أو ترفع الشعارات دون رجوعٍ إلى العلماء الراسخين، فهي امتدادٌ لنهج الخوارج في

حماستهم الخادعة وشعاراتهم البراقة.

خامسًا: انقسامهم وتفرقهم فيما بينهم:

من الصفات الملازمة للخوارج في كل عصرٍ **الافتراق والتنازع فيما بينهم**، فلا يجتمعون على إمامٍ ولا على كلمةٍ، لأنهم قاموا على البغي والجهل، ومن كان كذلك لا يمكن أن يجتمع على حقٍّ ولا على هدى، فهم في الظاهر يدّعون وحدة الكلمة وإقامة الدين، وفي الحقيقة هم أشد الناس فرقةً واختلافًا، يكفّر بعضهم بعضًا، ويتقاتلون فيما بينهم.

يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، «حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ» أخرجه ابن ماجه، برقم: (١٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن فكرهم لا ينقطع عبر التاريخ، وأنهم يتوالدون جيلاً بعد جيل، في كل مرة يظهر لهم قرن ثم يهلك، دلالة على أن اجتماعهم على ضلالة، وأن سنة الله فيهم أن لا تقوم لهم راية ثابتة.

فتفرق الخوارج سنة ماضية، دلّت عليها النصوص وشهد بها الواقع، فهم لا

يعرفون إمامًا يُجمعون عليه، ولا عالمًا يرجعون إليه، لأنهم جعلوا كل واحدٍ منهم إمامًا على نفسه، وما تفرّقوا إلا لأنهم خالفوا الجماعة، وما ضعفوا إلا لأنهم فارقوا السنة، ففرقتهم في الأرض آية من آيات الله على بطلان طريقهم، وصدق وعد نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» من دلائل بطلان منهج الخوارج المعاصرين ومن سار على طريقتهم من جماعات التفجير والتكفير، ما نراه من انقسامهم وتنازعهم المستمر، فلا يكاد يجتمعون على رايةٍ حتى يختلفوا، ولا يؤسسون تنظيمًا إلا ويتشعّب إلى فِرَقٍ شتّى، يلعن بعضُهم بعضًا، ويكفّر بعضُهم بعضًا، وكأنّ الاختلاف ديدنهم، والتفرّق شعارهم، وهذه سِمةٌ قديمة ورثوها عن أسلافهم من الخوارج الأوائل الذين لم يجتمعوا على إمام، ولا استقامت لهم جماعة.

قال الله تعالى محذرًا من مثل حالهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

فمن ترك الكتاب والسنة واتبع هواه وتأوّلهما على غير علم كان مصيره التمزّق والاختلاف، وهذه حال تلك الجماعات التي ادّعت الجهاد وهي في حقيقتها وقودُ الفتنة وأداةُ الفُرقة.

ولقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذرًا من التنازع الذي يفسد الدين والدنيا: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه البخاري، برقم: (١٢١) ومسلم، برقم: (٦٥) عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديث آخر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ» رواه مسلم، برقم: (٢٦٦٦) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلو كان هؤلاء القوم على حقّ لما دبّ الخلاف بينهم كلّما اجتمعوا، ولا انقسموا على زعاماتهم وأسمائهم؛ فهذا يكفّر ذاك، وذاك يبرّئ نفسه من هذا، حتى صاروا أحزابًا تتقاتل فيما بينها باسم الدين، والدين منهم براء.

وهكذا تراهم يختلفون في التكفير، ويتنازعون في القيادة، ويتقاتلون على الدنيا التي زعموا الزهد فيها، وما ذاك إلا لأنهم خالفوا منهج السلف الصالح الذي جمع الله به القلوب على التوحيد والطاعة، فخسروا اجتماع الكلمة، وضاع منهم الأمن والعدل، فصار بأسهم بينهم شديدًا، قال الله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

فانقسامهم آيةٌ على بُعدهم عن الحق، إذ لو كانوا على الهدى لاجتمعت كلمتهم، فإن الحقّ واحد لا يتعدّد، والباطلُ متشعّب لا يجتمع، ولذلك كان من علامات أهل السنّة والجماعة اجتماعُ القلوب على الكتاب والسنة، ومن علامات أهل الأهواء التنازعُ والاختلاف، كما قال بعض السلف: أهل الحقّ يتفقون، وإن تباعدت ديارهم، وأهل الباطل يختلفون وإن اجتمعوا في دار واحدة.

سادسًا: الأمر بقتالهم وتحذير الأمة منهم:

من أوضح العلامات التي يعرف بها الخوارج، وبيّن بها خطرهم على الأمة، أن

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتفِ بوصفهم وكشف ضلالهم، بل أمر بقتالهم صراحةً، وجعل ذلك من القُرَب التي يُتقرّب بها إلى الله، لما في قتالهم من حفظٍ للدين، وصيانةٍ لدماء المسلمين، ودفعٍ للفساد عن الأمة، فهم قومٌ مرقوا من الدين، واستحلّوا الدماء، وزيّن لهم الشيطان سوء أعمالهم فظنوا أنهم يحسنون صنعًا مما يدل على ذلك ما يلي:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري، برقم: (٦٩٣٠)، ومسلم، برقم: (١٠٦٦).

وهذا الحديث أصل في وجوب قتال الخوارج، لأنهم يعتدون على المسلمين ويخلّون بالأمن والدين، وقتالهم من أعظم القربات، لأنهم يفسدون في الأرض تحت راية الدين.

فهذه الأحاديث كلها تجمع ملامح الخوارج وصفاتهم الكبرى، وقد اتفقت الأمة على ذمهم والتحذير منهم، ورأى أهل العلم أن فكرهم أخطر من فكر اليهود والنصارى، لأنهم يتكلمون بلسان الإسلام ويهدمونه من داخله.

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ببيان حال الخوارج، والأمر بقتالهم إذا أظهروا البغي والعدوان، حمايةً لجماعة المسلمين وصيانةً لدمائهم وأمنهم، وتحذيرًا

للأمة من فكرهم المنحرف الذي لا يُثمر إلا الفتنة والخراب.

قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، وهذه الآية أصلٌ في وجوب قتال البُغاة الخارجين على جماعة المسلمين إذا لم يُجدِ معهم النصح والبيان.

وقد تواتر التحذير النبوي من الخوارج، وبيان وجوب قتالهم متى حملوا السلاح واستباحوا الدماء، وفي حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» رواه البخاري، برقم: (٧٤٣٢)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤).

فهذان الحديثان أصلان عظيمان في وجوب النكير على الخوارج وبيان خطرهم، وأن قتالهم من أعظم القربات إذا أفسدوا في الأرض واستباحوا دماء المسلمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أجمع العلماء على وجوب قتال الخوارج إذا فارقوا جماعة المسلمين، كما قاتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٠).

فقتالهم إذًا مشروعٌ عند ظهور بغيهم، لا حميةً ولا انتقامًا، بل حمايةً للدين والدماء، وهو من باب **دفع الصائل** وإزالة الفتنة، لا من باب سفك الدماء عبثًا، فالإسلام دين عدل ورحمة، لا يُقاتل إلا من قاتل، ولا يُعتدى إلا بعد قيام الحجة وظهور البرهان.

ولهذا يجب على الأمة أن تحذر فكرهم قبل سيوفهم، وأن تُحذّر أبناءها من دعاة

التكفير، وأن تلزم غرز العلماء الذين بيّنوا خطر هؤلاء على الدين والأمة.

فالتحذير منهم عبادة، وبيان ضلالهم واجب، إذ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَان» رواه مسلم، برقم: (١٨٥٢) من حديث عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهؤلاء الخوارج ما خرجوا إلا ليُفرّقوا صفّ المسلمين، فوجب التحذير منهم، وبيان خطرهم، والوقوف صفًا واحدًا مع العلماء وولاة الأمر في سدّ باب الفتنة والدماء.

سابعًا: سوء الظن بالعلماء والطعن في الدعاة:

من أبرز سمات الخوارج قديمًا وحديثًا سوءُ ظنّهم بالعلماء الربانيين، وطعنُهم في الدعاة المصلحين، حتى صاروا لا يرون لأهل العلم قدرًا، ولا لأهل الفضل حرمة، وهذه من العلامات الدالة على انحراف منهجهم وفساد نيتهم، إذ لا يقوم باطنٌ فاسد إلا على لسانٍ طعّان، ولا يُعرف مريدُ الفتنة إلا بجرأته على العلماء.

فالخوارج أول من اتهموا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه – وهو أعلم الخلق وأعدلهم – كما في حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ، إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ،

فَقَالَ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» أخرجه البخاري، برقم: (٣٦١٠)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤).

فانظر كيف بدأ انحراف الخوارج من سوء ظنٍّ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتهمةٍ له في عدله، فكان هذا أصل فسادهم ومنبع فكرهم، فمن لم يوقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف يوقّر العلماء من بعده؟!

وقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا المسلك، فقال: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّه» رواه أحمد في مسنده، برقم: (٢٢٧٥٥)، عن عبادة بن الصامت، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: (٥٤٤٣).

وهذا المشهد يتكرر في زماننا، فهؤلاء التكفيريون يرون أنفسهم أهدى من العلماء، ويصفونهم بالمداهنة أو العمالة، ويزدرون فتاواهم، ويقدّمون الجهل على العلم، والهوى على الدليل، تراهم يَسِمون العلماء بأنهم علماء سلاطين، ويستبدلون فتاوى الجهّال بخبرات الراسخين، حتى انقلبت الموازين وضلّت البصائر.

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل: ٤٣].

فجعل الرجوع إلى العلماء أصلًا في الدين، ومن أعرض عنهم فقد خالف أمر الله، واتبع سبيل الغاوين.

فمن علامة الخوارج إذًا: الطعن في العلماء، واتهام الدعاة، وإقصاء أهل الفقه

والعلم، لأنهم يرون أن العلم حكرٌ عليهم، وأن الفهم الصواب لا يُنال إلا من طريقهم، وما ذاك إلا كِبرٌ وجهلٌ وحسد.

أما أهل السنّة والجماعة فهم يعرفون قدر العلماء، ويوقرونهم، ويقتفون أثرهم، لأنهم ورثة الأنبياء، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» رواه أبو داود، برقم: (٣٦٤١)، والترمذي، برقم: (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٢١١٧).

فالواجب على كل مسلم أن يحذر من أهل الطعن واللمز في العلماء، وأن يعلم أن من انتقص حملة الشريعة فقد انتقص الشريعة نفسها، ومن أساء الظن بالعلماء الربانيين فقد وقع في إحدى بوابات فكر الخوارج.

والخلاصة: من أخطر صفات الخوارج عبر العصور **سوء الظن بالعلماء من أهل السنة والطعن في الدعاة**، لأن العلم الصحيح يقف سدًّا أمام باطلهم، ويكشف ضلال تأويلهم، فهم يعلمون أن وجود العلماء الراسخين يعني سقوط حجّتهم، فيسعون لتشويه سمعتهم والتقليل من شأنهم ليصرفوا الناس عنهم، وهذه الخصلة أصل في كل انحراف عقدي، إذ لا يجرؤ أحد على الخروج على الأمة حتى يطعن أولًا في علمائها.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللهَّ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ

العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» أخرجه البخاري، برقم: (١٠٠)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٣).

في هذا الحديث بيان أن غياب العلماء هو سبب ظهور الجهل والفتن، وأن تصدّر الجهال للفتيا هو مفتاح كل انحرافٍ فكري، والخوارج أول من صدّق عليهم هذا الوصف؛ لأنهم لم يرجعوا إلى العلماء، بل جعلوا أنفسهم مراجع في الدين بغير علم، فزلّوا في الفهم وأضلّوا غيرهم، ولهذا قال بعض العلماء: «إذا أراد الله بقومٍ شرًّا، نزع منهم العلماء، فصاروا أتباعًا لكل جاهلٍ ضالٍّ».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»**، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: **«الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»** أخرجه ابن ماجه، برقم: (٤٠٣٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

هذا الحديث يصف واقع الخوارج في كل زمان، إذ يُقدَّم فيهم الجهّال ويُقصى العلماء، ويتصدر السفلة في شؤون الأمة بدعوى الإصلاح، حتى يُكذّب العلماء الصادقون، ويُتَّهمون بالباطل، ويُتّبع السفهاء الذين يثيرون الفتنة بين المسلمين، وهذه هي سنة الله في من أعرض عن العلم واتبع الهوى.

فسوء الظن بالعلماء والطعن في الدعاة الصادقين علامة الخوارج الكبرى، ومنهجهم الثابت في إسقاط المرجعية العلمية، حتى يسود فكرهم المنحرف بلا

رادع، فكل من جعل نفسه حكمًا على علماء أهل السنة، وكفّرهم أو طعن في نياتهم، فقد سار على طريق الخوارج الأولين، وإن تسمّى بأسماء براقة، وإن حفظ الأمة من هذا البلاء لا يكون إلا بالرجوع إلى العلماء الراسخين، الذين جمعوا بين العلم والورع، فهم أمان الأمة من الفتن، كما أن السفن أمانٌ في البحر المتلاطم.

ثامنًا: الجفاء والفظاظة في الخطاب وسوء التعامل:

من الصفات البارزة في الخوارج **قسوة قلوبهم، وشدة ألفاظهم، وغلظ تعاملهم**، فلا ترى فيهم لينًا ولا رحمة، بل غلظةً في القول، واندفاعًا في الأحكام، وجرأةً على الدماء والأعراض، وهذه السمة نابعة من خللٍ في الفهم وضعفٍ في التزكية، إذ يغلب عليهم ظاهر العبادة بلا تربيةٍ على خلق الرحمة، فيُسيئون الأدب مع المسلمين بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفقدون التوازن بين الغيرة والحكمة.

عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**» أخرجه مسلم، برقم: (١٨٤٧).

وهذا الوصف يلتقي مع صفات الخوارج في قسوة قلوبهم وغلظ تعاملهم؛ فهم يتكلمون بلسان الإيمان، لكن قلوبهم بعيدة عن الرحمة، يتجرؤون على الدماء والأعراض، ويرون القسوة شجاعةً والدينَ سلاحًا للانتقام.

والخلاصة: من الصفات الظاهرة في قَوْمِ التكفير والتفجير أنّهم يَجْهَلُون آدابَ

الكلامِ وحُسْنَ الخُلق، فيظهرون بالجفاءِ والفظاظةِ في الخطاب، ويعاملون الناسَ بقسوةٍ وجفاءٍ لا تعرفُ لِلعِشرةِ مَرَحًا ولا لِلسترِ حياءً، وهذا السلوكُ دليلٌ عمليٌّ على فسادِ النفسِ وبعدِ القلب عن أخلاقِ الإسلام، إذ كيف يُدّعى محبٌّ للدينِ وهو يَشتغلُ بذمِّ الناسِ وذمِّ العلماءِ وسبِّ الخَلقِ والتشدُّد في العبارةِ واللسان؟

قال الله تعالى مخاطبًا المؤمنين: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالدعوةُ لا تكون إلا بالحكمةِ والقولِ الحسنِ؛ ومن خالف هذا الأسلوبَ خالف منهجَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، فالأمر بالقول الحسن عامٌّ لكلِّ مسلمٍ وما سوى ذلك من الجفاء والفظاظة مردودٌ وباطل.

وجاءت السنّة المحمدية مكملةً لذلك: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» رواه البيهقي في السنن الكبرى، برقم: (٢٠٧٨٢)، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة (٤٥).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه البخاري، برقم: (٦٠١٨)، ومسلم، برقم: (٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالسنةُ تأمرُ بالضبطِ في الكلامِ والابتعاد عن الفظاظة والسبّ والشتائم.

إن غلظةَ اللسانِ والجفاءَ في المعاملةِ لا تُنتجُ إلا بُغضًا بين الناسِ، وتغذيةً لطرائقِ الفتنةِ، وتبريرًا لردودِ الفعلِ العنيفة؛ ولذا ترى المتطرفَ يزدري العلماءَ،

ويهينُ الدُّعاةَ، ويخاطبُ الخصمَ بلغةٍ تحرّكُ الكبرياءَ وتُوقِدُ النزاعَ، بينما كان الصحابةُ والتابعونَ أحسنَ الناسِ أدبًا وإنفاقًا ورفقًا، حتى في الخصومةِ كانوا مَعروفين بالحياءِ والرفق.

وقد عدّ السلفُ حسنَ الخلقِ من تمامِ الدين، فقالوا: العفو في القولِ والعملِ زينة، وأنّ من قَبيحِ الأخلاق أنْ يُظهرَ العبدُ غِلًّا على الخلقِ ويُنقِّصَ من مقامِه بالحُرقةِ واللغةِ الفظَّةِ، ومن نتائج الجفاءِ كذلك: عزوف الناسِ عن الحقِّ عندما يظهرُ له بوجهٍ قاسٍ، فانظرْ كيف تضيعُ الفائدةُ حين يُقابلُ النصيحةُ بالفجاجةِ والتهكمِ بدلًا من الحكمةِ والموعظةِ الحسنة.

والواجبُ على الداعيةِ والناصحِ أن يراعيَ آدابَ الخطابِ: باللطفِ، والرفقِ، وحسنِ التعبيرِ، والابتعادِ عن السبِّ والجلدِ والشتيمةِ، بل يكونُ بيانه مبنيًا على الدليلِ والرفقِ، فإنّ ذلك أبلغُ في إصلاحِ القلوبِ وجذبِها من الغضبِ والغلظة، وإلا فكلُّ غِلظةٍ تُسرِّعُ في فَتكِ الفكرةِ، وتجعلُ من الحقِّ سببًا للفرقةِ لا للجمعِ.

خُلاصةً: الجفاءُ والفظاظةُ علامةٌ من علاماتِ أهلِ الغلوِّ والبدعِ، وهي تناقضُ جوهرَ الإسلامِ الذي يُؤكّدُ على حسنِ الخُلُقِ والرفقِ والحكمةِ في القولِ والعمل، فمن أراد النجاة فليتحلَّ بجمالِ الأدبِ قبلَ جمالِ الدِّعوى، فإنّ القلب لا يُفتَحُ إلا بالرفقِ، ولا تُزرعُ الهدايةُ إلا بقولٍ حسنٍ ومعاملةٍ طيبةٍ.

الباب الرابع: انحراف الخوارج في باب التكفير وأخطاؤهم في الاستدلال

من أخطر انحرافات الخوارج وأشدها أثرًا على الأمة انحرافهم في **باب التكفير**، وهو أصل فسادهم ومنشأ ضلالهم، فقد أخطأوا في فهم النصوص المتعلقة بالكفر والإيمان، وجمعوا بين الجهل والغرور، فغلوا في الدين حتى كفّروا المسلمين بالذنوب والمعاصي، واستحلّوا دماءهم وأموالهم باسم: تحكيم الشريعة، وقد بيّن العلماء أن الخوارج لم ينكروا وجود النصوص، ولكنهم **أخطأوا في تأويلها** وفهمها، فحمّلوها ما لا تحتمل، وأخرجوا الناس من الإسلام بغير برهان.

أولًا: أصل انحرافهم في فهم الكفر والإيمان:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي -أَوْ قَالَ- بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» أخرجه البخاري، برقم: (١٢٣٧)، ومسلم، برقم: (٩٤).

في هذا الحديث بيان أن من كان معه أصل التوحيد لا يخرج من الإسلام بذنبه ما دام لم يستحلّه، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يزول بالذنب وحده، وقد خالف الخوارج هذا الأصل، فجعلوا مرتكب الكبيرة كافرًا مخلّدًا في النار، وردّوا نصوص الوعد كلّها، فغلوا في فهم الوعيد وجعلوه دليلًا على الكفر.

فأصل ضلال الخوارج أنهم **لم يفرّقوا بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، ولا بين أصل الإيمان وكماله الواجب**، فاعتقدوا أن الإيمان شيء واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأن الذنب يناقض الإيمان من أصله، فصاروا يُكفّرون أهل الكبائر ويُخلّدونهم في النار، وهذا مناقض للكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه الآية صريحة أن الذنوب والمعاصي -ما لم تبلغ حد الشرك- داخلة تحت المشيئة، يغفرها الله لمن شاء، فلا تكون كفرًا مخرجًا من الملة.

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد فسّرها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: إِنَّهُ لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ إِنَّهُ لَيْسَ كُفْرًا يَنْقِلُ عَنِ الْمِلَّةِ، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤] كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، أي: ليس الكفر الأكبر المخرج من الملة، بل كفر أصغر إذا لم يستحلّ الحاكم الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا من أصرح الأدلة على وجوب التفريق بين أنواع الكفر.

وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل على أن لفظ **الكفر** قد يُراد به **الكفر الأصغر** الذي لا يخرج من الملة، وإنما هو كفر عملي أو جزئي، لا اعتقادي.

ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» أخرجه البخاري، برقم: (٤٨)، ومسلم، برقم: (٦٤)، وليس المراد به الكفر الأكبر، إذ القاتل لا يُحكم بردّته إذا لم يستحلّ القتل.

وكذلك ما رواه البخاري، برقم: (١٤٦٢)، ومسلم، برقم: (٧٩) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في النساء: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ» أي: تجحدن حق الزوج، وهذا كفر نعمة لا كفر ملة.

ومنها حديث **جَرير بن عبد الله البجلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه البخاري، برقم: (١٢١)، ومسلم، برقم: (٦٥)، والمراد: كفارًا كفرًا عمليًا، أي: تفعلون فعل الكفار، لا الكفر الحقيقي المخرج من الإسلام، فدلّت هذه الأحاديث على أن الكفر يأتي في الشرع على معنيين: أكبر مخرج من الملة، وأصغر لا يخرج منها، فيجب حمل كل نص على ما يليق بسياقه وقرائنه.

وأيضا هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، لا تُحمل على وجهٍ واحدٍ في كل الأحوال، بل يُفرّق فيها بين من **استحلّ الحكم بغير ما أنزل الله، أو رأى أن القوانين الوضعية أصلح وأعدل من الشريعة، فذلك كفر أكبر مخرج من الملة**، لأنه عارض شرع الله في أصله واعتقد بطلانه، وفضّل غيره عليه، فصار فعله ردةً عن الدين، كما نصّ على ذلك ابن كثير

والقرطبي وغيرهما من المفسرين.

أما من **حكم بغير ما أنزل الله لهوى أو لرشوة** أو لخوفٍ أو لمصلحةٍ دنيوية، مع إقراره بوجوب الحكم بما أنزل الله واعترافه بخطئه، فهذا كفر أصغر لا يخرج من الإسلام، وهو معنى قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كفر دون كفر.

ومن أدلة هذا التفصيل أن الله تعالى **فرّق في سورة المائدة بين ثلاثة أوصاف** لمن لم يحكم بما أنزل الله؛ فقال في الآية ٤٤: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ثم في الآية ٤٥: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ثم في الآية ٤٧: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾، فدلّ اختلافُ الخواتيم على **تنوّع أحوالهم ودرجات ذنبهم**؛ فمنهم الكافر الكفر الأكبر، ومنهم من ظَلَم بترك الحقّ، ومنهم من فَسَق بمعصية دون كفرٍ مخرج، وهذا التفصيل هو منهج السلف في فهم النصوص، جمعًا بين الدلائل، وتوفيقًا بين نصوص الوعيد والإيمان.

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ، فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**» رواه البخاري، برقم: (١٨)، ومسلم، برقم: (١٧٠٩).

فجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر العصاة راجعًا إلى مشيئة الله، ولم يخرجهم من

الإسلام، وهذا يهدم أصل الخوارج من أساسه.

فمذهب السلف: أن الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص، فلا يزول كله بذنب غير الشرك، بخلاف قول الخوارج الذين جعلوا الذنب ناقضًا للإيمان جملةً.

فالحاصل: أن **الخلل عند الخوارج منهجي في الفهم قبل أن يكون في النية**، إذ لم يردّوا المتشابه إلى المحكم، فحملوا نصوص الوعيد على غير وجهها، وظنّوا أن الوعيد يقتضي الكفر المطلق، فزلّت أقدامهم في أصل الدين، ولو جمعوا بين النصوص كما فعل السلف لعلموا أن الكبيرة لا يُخرج صاحبه من الإسلام، وأن الحكم بالكفر لا يُطلق إلا بشروط وضوابط بيّنها العلماء.

وهكذا كان انحرافهم في باب التكفير منشأ فسادهم كلّه، حتى سفكوا الدماء واستباحوا المحرّمات بزعم تحكيم الشريعة، وما خالفوا الشريعة إلا من حيث لا يشعرون.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ -أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ- فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**» أخرجه مسلم، برقم: (١٨٥).

هذا الحديث أصل في إثبات الشفاعة، وخروج عصاة الموحدين من النار، وهو ردٌّ واضح على الخوارج الذين أنكروا الشفاعة للمذنبين، وجعلوا مرتكب الكبيرة

خالدًا في النار، فعارضوا نصوص الرحمة والفضل، وجعلوا الله لا يغفر لمن يشاء، فكان مذهبهم أقرب إلى القنوط من رحمة الله منه إلى العدل.

والخلاصة: انحراف الخوارج في باب التكفير هو من أعظم انحرافاتهم وأخطرها على الأمة، لأنه الباب الذي جرّهم إلى سائر الضلالات: سفك الدماء، والطعن في العلماء، والخروج على الأئمة. وقد جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقتهم في قوله: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**» أخرجه البخاري، برقم: (٣٦١٠)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن لم يضبط باب التكفير بضوابط الشرع وقع فيما وقعوا فيه، ولو تسمّى بغير اسمهم، والنجاة من هذا الانحراف لا يكون إلا بالتعلم عن العلماء، والرجوع إلى فهم السلف، والتثبت في إطلاق الأحكام على الناس، إذ الخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في التكفير.

ثانيًا: خطؤهم في الاستدلال وبناء الأحكام على المتشابه:

إن من أعظم أسباب انحراف الخوارج في باب التكفير أنهم **قدّموا المتشابه على المحكم**، وتركوا النصوص البيّنة الصريحة، وعمّموا الأحكام على جميع المسلمين، فجعلوا نصوص الزجر والعقوبة دالّةً على الكفر المطلق، ولم يردّوها إلى نصوص الوعد والرحمة التي تقرّر أن أهل الكبائر تحت مشيئة الله، وهذا منهج باطل يخالف طريقة السلف.

فالواجب في نصوص الشريعة أن يُجمع بين أطرافها، ويُفهم بعضها على ضوء

بعضها، لأن الشرع كلّه حق لا يتعارض، ومن ترك هذا المنهج وقع في التناقض، كما فعل الخوارج الذين أخذوا بآيات الوعيد وحدها، وأعرضوا عن نصوص المغفرة، وعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فأصلُ كلِّ بدعةٍ إنما هو تقديمُ العقل على النقل، أو تقديمُ المتشابه على المحكم، ولهذا ضلّ الخوارج بتأويل النصوص على غير وجهها.

ثالثًا: اعتمادهم ظاهر النص دون فهمٍ ولا فقه:

ومن انحراف الخوارج أنهم أخذوا ظاهر النصوص دون فقهٍ ولا فهمٍ ولا نظرٍ في المقاصد والقرائن، فجمعوا بين الجهل والجرأة، فصاروا يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، كما وصفهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أي: لا ينتفعون به، لأن التدبر والفقه معدوم عندهم.

فالقرآن نزل ليُفهم ويُعمل به، لا ليُقتطع منه لفظٌ ويُبنى عليه حكمٌ يهدم به أصل الدين، ولهذا كان السلف يحذّرون منهم أشد التحذير؛ لفساد مناهجهم وقلة علمهم.

رابعًا: عدم التفريق بين أحوال الناس:

ومما زاد ضلالهم أنهم **جعلوا أحكامًا خاصّةً عامة**، وألحقوا أحكام الكفار بالمذنبين من المسلمين، ولم يفرّقوا بين الجاهل والمتأوّل، ولا بين المستحلّ وغير

المستحلّ، ولا بين الخطأ والكفر، مما هي شروط وموانع لابد منها فوقعوا في ظلمٍ عظيم، يخالف قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء:١٥].

والتفريق بين الأحوال أصلٌ في الشريعة، فمن أسقطه وقع في التكفير بلا بيّنة، وانتهك حرمات المسلمين.

خامسًا: بنوا حكم التكفير على قياسٍ فاسد:

اعتقد الخوارج أن الذنب يناقض الإيمان كليةً، ثم بنوا على هذا القياس الفاسد أحكامًا باطلة، فشبّهوا مرتكب الكبيرة بالكافر الأصلي، مع أن بينهما فرقًا ظاهرًا؛ فالكافر لا أصل لإيمانه، أما العاصي فمعه أصل الإيمان، وقد خلط حسنًا بسيئ.

والقياس الفاسد لا يُبنى عليه حكمٌ شرعي، إذ الشرع مبني على النصوص المحكمة، لا على الظنون والجهالات.

خاتمة هذا الأصل: فالحاصل: أن انحراف الخوارج في التكفير مبني على أصولٍ فاسدة في الفهم والاستدلال:

١) عدم التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر.

٢) عدم جمع النصوص في الباب الواحد وردّها إلى المحكم.

٣) التسرع في التكفير مع عدم مراعاة شروط وموانع التكفير.

٤) بتر النصوص من سياقها.

٥) الجهل باللغة والشرع ومقاصد النصوص.

فجاء حكمهم مسلوب العدل، مبنيًا على الشطط، مخالفًا لمنهج السلف الذي يقوم على العلم والإنصاف، ومعرفة درجات الذنب، وأحوال المكلّفين، وحمل النصوص على مراد الله ورسوله.

الباب الخامس: واقع الخوارج المعاصرين

سمات الخوارج في هذا العصر:

لقد تغيّر الزمان، وتطوّرت الوسائل، لكن جوهر فكر الخوارج باقٍ كما هو، فما أكثر ما تتبدّل الأسماء وتختلف الشعارات، ويبقى المضمون واحدًا: تكفير المسلمين، واستباحة دمائهم، والخروج على ولاة أمورهم، وادّعاء إصلاحٍ مزعومٍ يخفي وراءه فسادًا مستطيرًا.

❖ ومن أبرز سماتهم اليوم:

- ✓ الغلوّ في الدين، وتكفير المجتمعات.
- ✓ الجهل بأصول العلم الشرعي ومقاصده.
- ✓ احتقار العلماء واتهامهم بالمداهنة.
- ✓ استحلال الدماء والأموال بحجة الجهاد.
- ✓ تزيين الباطل بمظاهر العبادة والورع الكاذب.

ومن تأمّل في أفعالهم وجدها نسخةً مكرّرة من أسلافهم الذين وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا عجب أن قال: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**» أخرجه ابن ماجه، برقم: (١٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكلما انقرضت طائفة منهم أعقبها جيل جديد يحمل فكرها بثوبٍ آخر.

تنظيم القاعدة وداعش امتدادٌ لفكر الخوارج الأوائل:

نشأ ما يُعرف بـتنظيم القاعدة على فكر تكفيري منحرف، جعل أصحابه أنفسهم أوصياء على الأمة، وكفّروا حكّام المسلمين ومن لم يوافقهم على نهجهم.

ومن رحم هذا الفكر خرجت داعش أكثر غلواً ودمويةً، تتزيّن بشعار الخلافة وتقتل من يشهد أن لا إله إلا الله.

فما أبعدهم عن منهج السلف في الجهاد المشروع! فقد حوّلوا الجهاد إلى إرهاب، والرحمة إلى ذبح، والغيرة إلى فوضى، ولو نظروا إلى سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلموا أن الجهاد لا يكون إلا تحت راية ولي الأمر.

مظاهر غلوّهم في التكفير والدماء:

من أشدّ مظاهرهم ظلمةً **التكفير الجماعي** الذي لم يُعرف في تاريخ الأمة بهذا الاتساع، فهم يكفّرون الحاكم والعالم والجندي والمواطن، ثم يجعلون من ذلك مبررًا لسفك الدماء.

وقد رأينا جرائمهم في اليمن والعراق وسوريا وليبيا وغيرها، يذبحون الجنود المسلمين الذين يقاتلون الروافض واليهود بزعم أنهم مرتدّون، ويفجّرون المساجد، بل ويقتلون الأسرى من المسلمين، ويصورون ذلك تبجحًا وافتخارًا.

وقد روى مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»، أي: في فساد قلوبهم وأعمالهم.

وما ذاك إلا لأنهم جعلوا القتل عبادةً، والظلم طاعةً، والتخريب نصرةً! فاستحقوا أن يُسمّوا «كِلَابُ النَّارِ» رواه الترمذي، برقم: (٣٠٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٣٤٧).

الخلاصة: الخوارج المعاصرون -القاعدة وداعش ومن نحا نحوهم- هم الامتداد الواقعي لفكر الخوارج الأولين، تغيّرت أسماؤهم ولم يتغيّر فكرهم، لا يعرفون من الإسلام إلا الشعارات، ولا من الجهاد إلا الدماء، يخدمون أعداء الدين وهم يظنون أنهم يجاهدون في سبيل الله.

والواجب على المسلمين الحذر منهم، ونشر العلم الصحيح الذي يردّ شبهاتهم، وبيان أن السمع والطاعة والاعتدال والرحمة هي سبيل النجاة.

الباب السادس: أبرز مخالفات الخوارج في هذا العصر

لقد عادت فتنة الخوارج في هذا الزمان بأشكال جديدة، وأسماء مختلفة، وشعارات براقة ظاهرها الدين وباطنها الفساد، وارتكبوا جرائم عظيمة في حق الإسلام والمسلمين، ومن ذلك ما يلي:

أولًا: تفجيرهم في بلاد المسلمين في المساجد والأسواق والمنازل والمستشفيات.

وقد قال في شأن قتل المؤمن عمدًا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]،

وهذا وعيد شديد يدل على حرمة دم المسلم، وأن قتله من أكبر الكبائر.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» رواه البخاري، برقم: (٦٩١٤)، والحديث في تحريم قتل المعاهد، فدلّ على عِظَم جريمة الاعتداء على كل نفسٍ معصومة، سواء كانت مسلمة أو معاهدة.

فإذا كان قتل المسلم أو قتل المعاهد على هذه الدرجة من الوعيد، فكيف بمن يفجر المساجد والمستشفيات والأسواق، فيقتل المسلمين والمعاهدين والنساء والأطفال والصالح والطالح بلا تمييز؟!

إنها جريمة مركّبة لا يشك عاقل في أنها من عمل الخوارج، وأنها أعظم ظلمًا واعتداءً مما جاءت الشريعة بذمّه وتشديد الوعيد عليه.

ثانيًا: قتلهم لكل من خالفهم من المسلمين من الجنود وغيرهم بزعم الردة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ» رواه البخاري، برقم: (٣٣٤٤)، ومسلم، برقم: (١٠٦٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[الأنعام: ١٥١].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» رواه البخاري، برقم: (٦٨٧٨)، ومسلم، برقم: (١٦٧٦).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا» رواه البخاري، برقم: (٦٨٦٢).

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ، قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ». رواه البخاري، برقم: (٣١)، ومسلم، برقم: (٢٨٨٨).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» رواه الترمذي، برقم: (١٣٩٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» رواه ابن ماجه، برقم: (٢٦١٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

وعن ابن مسعودٍ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ آخِذًا قَاتِلَهُ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا عِنْدَ ذِي الْعِزَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: فِيمَ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ. قِيلَ: هِيَ للهِ» رواه الطبراني في الأوسط، برقم: (٧٦٦)، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٨).

ثالثًا: قتلهم للمعاهدين والمستأمنين ممن حرم الإسلام دماءهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» رواه البخاري، برقم: (٣١٦٦).

رابعًا: قيامهم بالعمليات الانتحارية التي يسمونها: استشهادية، وهي في الحقيقة قتل للنفس التي حرّم الله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». رواه مسلم، برقم: (١٠٩)، واللفظ له، والبخاري، برقم: (٥٧٧٨).

خامسًا: تكفيرهم للمجتمعات والعلماء والحكومات بغير دليل ولا بيّنة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» رواه البخاري، برقم: (٦١٠٤)، ومسلم، برقم: (٦٠) واللفظ له، وعن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» رواه البخاري، برقم: (٦٠٤٥)، ومسلم، برقم: (٦١).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث **أسامة بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين قتل رجلًا قال: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا

مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» رواه البخاري، برقم: (٤٢٦٩)، ومسلم، برقم: (٩٦).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ». رواه البخاري، برقم: (٢٥)، ومسلم، برقم: (٢٢).

سادسًا: إثارتهم للفتن وتشويههم لصورة الإسلام عالميًا حتى صار يُرى دينًا للدماء.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف: ٥٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

سابعًا: استغلالهم للشباب المتحمسين وتغريرهم بهم باسم الجهاد.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

إن استغلال الخوارج لشباب الأمة وتغريرهم بهم باسمِ الجهاد واحدة من أخبث وسائلهم في نشر الضلال وإدامة الفتنة؛ يبتدرون الخطابَ العاطفي الحماسي، كما يقومون بإسماعهم أناشيد حماسية، ويغشّون الحقائق بعباراتٍ رنانةٍ عن البطولة والشهادة، فيعرضون مقاطعَ مرئيةً محبوكةً تُمجِّد العنف وتعيد تركيب اللقطات لتبدو بطولية، ويقيمون عروضًا قتاليةً وتدريباتٍ مسقوفةً تخلق إحساسًا بالانتماء والرجولة، ويغرون الشباب بالوعود بالغنائم والمنازل والجاه والدعم المالي، ثم يعزِلونه في حلقات تلقين يَفقد فيها المنطق ويغيب العقل، ويصل بهم الأمر إلى أن يزوّدوه بالسلاح أو يسهلون له الوصول إلى ساحات العنف، فتتبدّل الحماسة إلى أداة هدم، وكم من شابٍ اغترّ بهذه الشعارات فاعتقد أنّه على هدى، فكفّر أقربَ الناس إليه، ثم قتل أباه أو أمه أو إخوانه أو أقاربه أو جيرانه وأصحابه بزعم أنهم كفّارٌ أو موالون لأعداء الله، فكانت الأسرة والحيّ والمجتمع أولى ضحايا هذا الضلال، نسأل الله أن ينجّي شبابَنا من مكرهم، وأن يُلهم أهلَ العلم والأسرة سبلَ الوقاية والرشاد، وأن يُوقِف هذا المدّ من الفتن قبل أن يهلكه ويهلك به غيره.

ثامنًا: خروجهم على ولاة أمور المسلمين، ورفضهم البيعة والطاعة في المعروف.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» رواه البخاري،

برقم: (٧٠٥٣)، ومسلم، برقم: (١٨٤٩).

تاسعًا: مخالفتهم لجماعة المسلمين وتمزيقهم صفّ الأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» رواه البخاري، برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم، برقم: (١٨٤٧).

عاشرًا: تحريفهم لمفهوم الجهاد، وجعله وسيلةً لسفك الدماء بلا إذن ولي أمرٍ ولا راية شرعية.

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠]، وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**» رواه البخاري، برقم: (٢٨١٠)، ومسلم، برقم: (١٩٠٤).

الحادي عشر: انتقاصهم من العلماء والطعن فيهم، ووصفهم بالعمالة والضلال.

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى**

العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ». رواه أبو داود، برقم: (٣٦٤١)، والترمذي، برقم: (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

الثاني عشر: إفسادهم للأمن العام وترويع الآمنين.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا» رواه البخاري، برقم: (٦٨٧٤)، ومسلم، برقم: (٩٨).

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وهذا يشمل كل أذى يقع على المسلم، سواء بالقول، أو الفعل، أو الترويع، فهو من الظلم والعدوان.

في حديث يزيد بن سعيد الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا» رواه أبو داود، برقم: (٥٠٠٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

وهو نصٌّ صريح في التحريم، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل مجرد الترويع ولو بالمزاح حرامًا، لما فيه من إدخال الخوف والرهبة على قلب المسلم.

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ». رواه

مسلم، برقم: (٢٦١٦)، وهذا فيمن أشار بسلاح أو ما يخيف، فكيف بمن روّع أو أرهب؟!

الثالث عشر: طرقهم الوحشية في القتل والتمثيل.

يقومون بأبشع صور العنف من الذبح بالسكاكين، وقطع الرؤوس، والتمثيل بالجثث وتشويهها، والحرق والصلب والدفن حيًّا أحيانًا، وإلقاء الجثث في الطرقاتٍ والأماكن العامة ليفزع الناس ويردع القلوب، بل يصلون إلى تحريض الشباب على ارتكاب هذه الممارسات باسم الجهاد والولاء.

عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**». رواه مسلم، برقم: (١٩٥٥).

وهذا الحديث أصلٌ في النهي عن كل صور القتل الوحشي، والذبح البشع، والتمثيل بالجثث، لأن الإحسان واجب حتى في حال القصاص المشروع، وقد قال العلماء: من باب أولى أن يُمنع القتل الظالم والتمثيل الممنوع، إذ لم يُرخَّص فيه حتى في حدود الله.

وعن بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ الله، فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،**

فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ». رواه مسلم، برقم: (١٧٣١).

وعن عبد الله بن يزيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن النَّهْبَى والمُثْلَة، رواه البخاري، برقم: (٢٤٧٤).

فما يفعله الخوارج من الذبح والتشويه والتمثيل خُلق جاهلي لا يمتّ إلى الإسلام بصلة، لأن الإسلام دين الرحمة حتى مع أعدائه في حال الحرب، فكيف بمن يقتل ويذبح في المسلمين بحجة أنهم يوالون ولاة الأمور الذين بزعمهم كفار؟!

الباب السابع: الآثار المدمّرة لفكر التفجير والتكفير

تشويه صورة الإسلام عالميًا:

أولى نتائج هذه الجماعات الظالمة أنَّها تُشوِّهُ وجه الإسلام في أعين الناس حول العالم، فحين يظهر من يدّعي الجهاد بقتل الأبرياء أو تفجير الأسواق أو ذبح الأسرى، يربط العالم بين هذه الصور المشوّهة وبين الدين الحنيف، وتنتشر لدى غير المسلمين أحكامٌ مسبقة تُجابه بها رسالة الإسلام الحقيقية القائمة على السلام والرحمة.

والذي يزيد الطين بلة أنَّ أعداء الأمة يستغلّون هذه الصور ذريعةً للتدخّل السياسي والعسكري تحت شعار «محاربة الإرهاب»، وهذا يزداد ضررًا حين يفتقر المجتمع المسلم إلى خطابٍ علميٍ واضحٍ يبيح الحقيقة ويكشف الزيف، لذلك فواجبنا الدعوي أن نقدّم للناس صورة الإسلام الحقيقية: القرآن والسنة، والسلف الصالح، والرحمة والعدل، وأن نردّ بأيِّ حجةٍ عقلانيةٍ ونصّية على كل اتهامٍ أو خداعٍ يُراد به النيل من الإسلام.

سفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل:

لا ريب أنَّ أعظم أثرٍ لمسلك التفجير والتكفير هو **سفك الدماء** وقطع الأعناق وخراب البيوت، إن الدم المسلم حرام، وقد بيّن القرآن منزلة النفس، وأنها من

أعظم الحرمات: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣] من أصرح الأدلة في تحريم قتل المؤمن، وتوعّد الله عليه بأعظم العقوبات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، نصّ عام في تحريم قتل أي نفسٍ بغير حقٍّ مشروع، والمسلم أولى الناس بالعصمة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. قياس عظيم يبيّن أن قتل نفسٍ واحدة ظلماً كأنه قتل البشرية كلها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

جمع القتل مع الشرك والزنا في سياق الكبائر العظام.

فمتى سُفكت دماء الناس باسم الدين فسد المجتمع وساءت الحياة، وظهرت الكراهية بين أبناء البلد الواحد، مما يدفع بالأرامل واليتامى إلى معاناة مستمرة، ويقلّل من طاقة العمل والإنتاج ويُفقد المجتمع عناصره الفاعلة.

كما أن استهداف المنشآت الحيوية والحد من الأعمال يورث فقرًا وندرة، ويؤثر على التعليم والصحة والبنى الأساسية، وكل ذلك ثمنٌ باهظ تدفعه الأمة بسبب أفكار ضالة مقرونة بالسلاح.

أدلة من السنة في تحريم قتل المسلم بغير حق:

الأول: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» أخرجه البخاري، برقم: (٤٨)، ومسلم، برقم: (٦٤) فيه بيان خطورة قتال المسلم وأنه كفر دون كفر.

الثاني: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» رواه البخاري، برقم: (٦٨٦٢)، يدل على أن قتل النفس يضيّق على المرء أمر دينه.

الثالث: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**» رواه الترمذي، برقم: (١٣٩٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، يبيّن عظم حرمة الدم المسلم.

الرابع: حديث جندب عن فلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي**». أخرجه النسائي، برقم: (٣٩٩٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي، وعيد شديد على القاتل.

الخامس: حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**» رواه البخاري، برقم: (٣١٦٦)، فكيف بقتل المسلم؟!

السادس: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاء**» أخرجه البخاري، برقم: (٦٥٣٣) ومسلم، برقم: (١٦٧٨)، بيان لعِظَم شأن الدماء عند الله تعالى.

زعزعة الأمن وتشتيت الأمة:

من آثار هذا الفكر أيضًا إضعاف الأمن الداخلي، وخلق بيئة من الفوضى والانقسام، فالتفجير والتكفير يزرعان الخوف بين الناس، ويضعفان مناعة المجتمع أمام الأخطار الأخرى، كما يشتت الجهود الوطنية ويُضعف الجبهة الداخلية أمام التحديات الاقتصادية والاجتماعية.

وتتبع ذلك حروب أهلية، نزوح شعبي كبير، وانقسام سياسي يعقّد الحلول ويطيل زمن الاستقرار، أما على مستوى الأمة فصيغُ التفرقة تُضعف الروابط بين البلدان المسلمة وتسهّل تدخل القوى المعادية بذرائع إنسانية أو أمنية.

والعلاج العملي هنا يبدأ بتقوية الأجهزة الشرعية والمجتمعية: منظومة تعليمية صحيحة، مؤسسات وثقافة وسطية، تعاون بين العلماء والدعاة والجهات الأمنية لوقف دوائر العنف وحماية الأهالي.

استغلال الأعداء لهذه الفتن لضرب الإسلام:

إن من أكبر العواقب أن يستغلّ أعداء الأمة جرائم التفجير والتكفير ذريعةً لفرض مصالح سياسية أو للتدخل العسكري أو لفرض عقوبات اقتصادية على

دولٍ مسلمة، فالذي كان يُرى في صورةٍ داخلية صار طريقةً لتبرير قرارات دولية تضرب سيادة الدول وتعيق تنميتها.

إضافةً إلى ذلك، تستخدم أنظمة إعلامية وسياسية هذه الأعمال لتصوير المسلمين كلهم بصورةٍ نمطية، ويُحيَك حول ذلك سياسات تمييزية قد تطال الجاليات المسلمة في الخارج.

ومن هنا تنبع ضرورة أن يصدح صوت علماء المسلمين ودعاتهم في كل محفل، يوضحون موقف الشرع، ويذكرون أن هؤلاء المجرمين لا يمثلون الإسلام، وأن مكافحة الفتنة تبدأ من الداخل بالعلم والنية الصادقة والعمل المنهج.

الباب الثامن: منهج أهل السنة والجماعة في الإصلاح والجهاد

أصل الدعوة في منهج السلف:

أهل السنة والجماعة يرون أن الإصلاح يبدأ **من النفس والعلم**، لا من السلاح والدماء، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد، يزرع الإيمان قبل القتال، ويؤسس القلوب قبل الجيوش، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالإصلاح عندهم قائم على العلم، والعدل، والصبر، والرحمة، لأن القلوب لا تُفتح بالقوة بل بالحكمة، ومن أعظم أخطاء الخوارج أنهم جعلوا السلاح مقدّمًا على الدعوة، والجهل مقدّمًا على العلم.

الجهاد عند أهل السنة ضبطٌ لا فوضى:

الجهاد في سبيل الله عبادةٌ عظيمة، لكنه لا يكون إلا بشروطه وضوابطه الشرعية. فمن شروطه:

- ✓ أن يكون تحت راية ولي أمر المسلمين.
- ✓ أن يكون القصد فيه إعلاء كلمة الله لا طلب دنيا ولا انتقام.
- ✓ أن يُراعى فيه العدل فلا يُقتل بريء ولا يُغدر.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ**

بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا» رواه مسلم، برقم: (١٧٣١) عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا هو الجهاد الحق الذي تُصان فيه الكرامة ويُرفع فيه الظلم، لا الذي يُنشر فيه الرعب والخراب كما يفعل أهل الغلو والبدع.

منهجهم في السمع والطاعة لولاة الأمور:

من خصائص منهج أهل السنة والجماعة أنهم يرون السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين بالمعروف واجبًا، والصبر على جور الولاة ما لم يظهر كفر بواح، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» رواه البخاري، برقم: (٦٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال أيضًا: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه البخاري، برقم: (٧٠٥٤)، ومسلم، برقم: (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهم لا يُثيرون الفتن ولا يشقّون الصف، بل يدعون إلى الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعلمون أن الطاعة في المعروف هي سبيل الأمن والاستقرار ووحدة الأمة.

ميزان الاعتدال في الدعوة والجهاد:

الوسطية عند أهل السنة وسطٌ بين طرفي الإفراط والتفريط، فهم لا يتركون الجهاد المشروع، ولا يخرجون على الأئمة، ولا يتنازلون عن دينهم، بل يوازنون

بين النصوص بفهم الصحابة والتابعين.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فالطريق إلى النصر يبدأ بإصلاح القلوب، ثم المجتمع، ثم إعداد القوة بإذن الله، لا بالتمرد والعنف والتفجير، ولهذا كانوا يقولون: السيف لا يُرفع إلا بعد البيان، والبيان لا يكون إلا بعد العلم، والعلم لا ينفع إلا مع الإخلاص.

الدعوة إلى الإصلاح بالأدب والحكمة:

منهج أهل السنة في الإصلاح يقوم على النصيحة لا الفضيحة، وعلى التذكير لا التشهير، وعلى البناء لا الهدم، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» رواه مسلم، برقم: (٥٥)، من حديث تميم بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فهم ينصحون الحكّام والعامة بالسر لا بالمنابر، ويصلحون بقلوبٍ رفيقة لا بألسنةٍ فظة، ومن تدبّر سير العلماء وجد أنهم ما نالوا التمكين إلا بالصبر والصدق والبيان، لا بالصدام ولا بالشعارات.

الخلاصة: إن منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الأقوم في كل زمان؛ لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة بفهم الصحابة الكرام به تحفظ الأمة دينها ودماءها، وبه تُعرف الموازين بين الغلو والتفريط، وبين العنف والحكمة.

فمن تمسك بالعلم والعمل، وأخلص النية، وابتعد عن مسالك الحزبية

والسرية، فقد سلك سبيل النجاة، وكان من الطائفة المنصورة التي وعد بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه مسلم (١٩٢٠)، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخاتمة العامة

الحمد لله الذي هدانا للحق، وأوضح لنا سبيل النجاة، وبيّن لنا طريق أهل الهدى من طريق أهل الغلوّ والردى، وبعدُ، فبعد هذا البيان المختصر جدا في فكر الخوارج قديمهم وحديثهم، وما ترتّب على فكرهم من مفاسد عظيمة في الدين والدنيا، يتبيّن للمسلم الصادق أن النجاة في العلم والاتباع، لا في العاطفة والادّعاء، لقد رأينا في هذه الصفحات كيف انقلبت مفاهيم الدين عند هؤلاء الخوارج فصار الجهاد عندهم سفكًا للدماء، والأمر بالمعروف خروجًا على الأئمة، والنصيحة ثورةً وتشويهًا، فحملوا السلاح على إخوانهم وتركوا أعداء الله الحقيقيين، وباعوا دينهم بثمنٍ بخسٍ باسم الغيرة والإصلاح.

ومن خلال تتبّع النصوص الشرعية وأقوال السلف والعلماء، يظهر أن الخوارج ليسوا فئةً عابرة، بل مرضٌ متجدّد يلبس في كل عصر ثوبًا جديدًا، فمرّةً يسمّون أنفسهم: المجاهدين، وأخرى أنصار الشريعة، وثالثة الدولة الإسلامية، وما هم إلا أداة فتنةٍ وتفريق، «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**» أخرجه ابن ماجه ، برقم: (١٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

إن أعظم ما يواجههم به المسلم اليوم هو **العلم والبصيرة**، بتعلّم العقيدة الصحيحة، وملازمة العلماء الراسخين، وردّ الشبهات بالحجة والبرهان، فالعلاج ليس في قوة السلاح، بل في قوة العلم والفهم، إذ لا يُطفئ فكرًا إلا فكرٌ أنور منه

وأقوم دليلاً.

وواجب الدعاة والمربين أن يُربّوا النشء على محبة العلماء، وتعظيم السنة، وطاعة وليّ الأمر في المعروف، ونبذ الحزبية والتنظيمات السرية، وأن يغرسوا فيهم أن الدين رحمة لا قسوة، وعدل لا فوضى، وأن المجد الحقيقي هو في نفع الأمة، لا في هدمها.

والوصية لكل مسلم أن يستمسك بالوسطية الشرعية، فلا ينساق خلف الغلاة، ولا يغتر بدعاة الفتنة، وأن يزن الأمور بميزان الشرع لا بالعواطف، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فلتكن هذه الرسالة تذكرةً، وليتأمل كل قارئٍ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي» رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (٣١٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (٢٩٣٧).

فالنجاة لمن رجع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، ولزم جماعة المسلمين، وأحسن الظن بعلمائهم، وسار على طريق الاعتدال.

نسأل الله تعالى أن يحفظ بلاد المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يختم لنا بخير، ويجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس:

مقدمة..... ٥

المناسبة لكتابة هذه الرسالة:..... ٧

الباب الأول: حقيقة الخوارج: ١٠

تعريف الخوارج لغةً واصطلاحًا ١٠

الباب الثاني: نشأة الخوارج، وأهم مراحل ظهورهم ١٢

أولًا: البذرة الأولى في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:..... ١٢

ثانيًا: ملامح النشأة في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:..... ١٣

ثالثًا: ظهور الخوارج كفرقة في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:..... ١٤

رابعًا: استمرار فكرهم في العصور اللاحقة:..... ١٥

خامسًا: امتداد فكرهم في العصور المتأخرة:..... ١٦

الباب الثالث: صفات الخوارج وعلاماتهم في النصوص النبوية ١٧

أولًا: الغلوّ في الدين والتشدد في العبادة:..... ١٧

التحذير من الغلو في الدين:..... ٢٠

ثانيًا: الجهل في الدين مع الجرأة على التكفير:..... ٢٢

ثالثًا: الطعن في ولاة الأمور والخروج عليهم: ٢٦
رابعًا: الحماسة الخادعة ورفع الشعارات البراقة: ٢٩
خامسًا: انقسامهم وتفرقهم فيما بينهم: ٣١
سادسًا: الأمر بقتالهم وتحذير الأمة منهم: ٣٣
سابعًا: سوء الظن بالعلماء والطعن في الدعاة: ٣٦
ثامنًا: الجفاء والفظاظة في الخطاب وسوء التعامل: ٤٠
الباب الرابع: انحراف الخوارج في باب التكفير وأخطاؤهم في الاستدلال..... ٤٣
أولًا: أصل انحرافهم في فهم الكفر والإيمان: ٤٣
ثانيًا: خطؤهم في الاستدلال وبناء الأحكام على المتشابه: ٤٨
ثالثًا: اعتمادهم ظاهر النص دون فهمٍ ولا فقه: ٤٩
رابعًا: عدم التفريق بين أحوال الناس: ٤٩
خامسًا: بنوا حكم التكفير على قياسٍ فاسد: ٥٠
الباب الخامس: واقع الخوارج المعاصرين ٥٢
سمات الخوارج في هذا العصر: ٥٢
تنظيم القاعدة وداعش امتدادٌ لفكر الخوارج الأوائل: ٥٣
مظاهر غلوّهم في التكفير والدماء: ٥٣

الباب السادس: أبرز مخالفات الخوارج في هذا العصر ٥٥

أولًا: تفجيرهم في بلاد المسلمين في المساجد والأسواق والمنازل والمستشفيات..... ٥٥

ثانيًا: قتلهم لكل من خالفهم من المسلمين من الجنود وغيرهم بزعم الردة. ٥٦

ثالثًا: قتلهم للمعاهدين والمستأمنين ممن حرم الإسلام دماءهم..... ٥٧

رابعًا: قيامهم بالعمليات الانتحارية التي يسمونها: استشهادية، وهي في الحقيقة قتل للنفس التي حرّم الله..... ٥٨

خامسًا: تكفيرهم للمجتمعات والعلماء والحكومات بغير دليل ولا بيّنة. ٥٨

سادسًا: إثارتهم للفتن وتشويههم لصورة الإسلام عالميًا حتى صار يُرى دينًا للدماء..... ٥٩

سابعًا: استغلالهم للشباب المتحمسين وتغريرهم بهم باسم الجهاد. ٥٩

ثامنًا: خروجهم على ولاة أمور المسلمين، ورفضهم البيعة والطاعة في المعروف..... ٦٠

تاسعًا: مخالفتهم لجماعة المسلمين وتمزيقهم صفّ الأمة. ٦١

عاشرًا: تحريفهم لمفهوم الجهاد، وجعله وسيلةً لسفك الدماء بلا إذن ولي أمرٍ ولا راية شرعية..... ٦١

الحادي عشر: انتقاصهم من العلماء والطعن فيهم، ووصفهم بالعمالة والضلال..... ٦١

الثاني عشر: إفسادهم للأمن العام وترويع الآمنين..... ٦٢

الثالث عشر: طرقهم الوحشية في القتل والتمثيل..... ٦٣

الباب السابع: الآثار المدمّرة لفكر التفجير والتكفير ٦٥

تشويه صورة الإسلام عالميًا:..... ٦٥

سفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل:..... ٦٥

أدلة من السنة في تحريم قتل المسلم بغير حق:..... ٦٧

زعزعة الأمن وتشتيت الأمة:..... ٦٨

استغلال الأعداء لهذه الفتن لضرب الإسلام:..... ٦٨

الباب الثامن: منهج أهل السنة والجماعة في الإصلاح والجهاد ٧٠

أصل الدعوة في منهج السلف:..... ٧٠

الجهاد عند أهل السنة ضبطٌ لا فوضى:..... ٧٠

منهجهم في السمع والطاعة لولاة الأمور:..... ٧١

ميزان الاعتدال في الدعوة والجهاد:..... ٧١

الدعوة إلى الإصلاح بالأدب والحكمة:..... ٧٢

الخاتمة العامة ٧٤
الفهرس: ٧٦

صدر حديثًا للمؤلف

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com